Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن

القراءة والحياة

I ـ مطّلعون ومستهلِكون

إن المسافة التي تفصل الأدب المدرسي عن الأدب الحيّ هو موضوع تقليدي يحدث التسلية لا يثير فضيحة. ويبدو لا معقولاً أن يضيع، الواحد عدة سنوات من حياته يدرس فيها نصوصاً مملة لن يعود إلى مطالعتها أبداً. إن هذا يعني أننا نخلط بين موقف المطلع وموقف المستهلك. إن ميزة المثقف هي قدرته النظرية على أن يصدر أحكاماً أدبية معللة. والتنشئة المدرسية غايتها جعل الحكم الأدبي ممكناً. والطريقة التربوية – بنوع خاص في فرنسا – التي ترتكز على تفسير النص، ركيزة التعليم الثانوي، تهدف إلى أن تجعل من كل قارىء مطّلعاً.

إن فعل القراءة، لسوء الحظ، ليس مجرد فعل معرفة. إنه تجربة تلزم الكائن الحي كله في مظاهره الفردية كما في مظاهره الجماعية. إن القارىء مستهلك، وهو ككل المستهلكين يتصرف بتوجيه الذوق أكثر مما يمارس حكماً حتى ولو كان كفوءاً لأن يصدر تبريراً عقلياً استدلالياً على هذا الذوق.

نظراً إلى أن ممارسة الحكم الأدبي تختص بها الفئة المثقفة (غالباً ما تشبه فئة مغلقة أو طبقة اجتماعية كجماعة «الطلاب الثانويين» منذ عهد قريب في فرنسا)، فإن هذه الفئة تفرض على أعضائها (تحت طائلة عقوبات معنوية: كأن يعتبر بليداً، أو غير مثقف أو حتى «بدائياً» أن يتصرفوا تصرف المطلعين. هذا هو تفسير طريقة عمل المراقبة التي أشرنا إليها سابقاً والتي تجعل التحقيق حول المطالعات صعباً إلى هذا